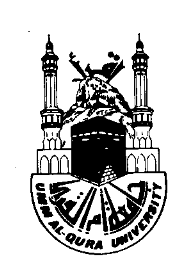
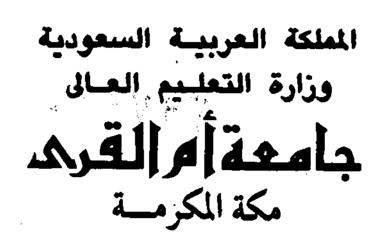




المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالى
جامعة أم القرى
مكة المكرمة







بحوث

المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين

المنعقد في مكة المكرمة في المدة

٥ - ٧ شعبان ١٤١٩هـ

الجزء الثالث

١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م



قراءة في قصيدة من الشعر السعودي

د . حمود محمد الصميلي

اهتم الشعر السعودي بقضايا مجتمعه اهتماماً شديداً ، وكل مجتمع لا يخلو من معضلات تؤرقه وتقض مضجعه ، والشعراء هم اللسان المعبر عن هموم الأمة فلا بد أن تنعكس هذه الهموم على نفسياتهم فيدركوا مخاطرها ومضاعفاتها قبل غيرهم كيف لا وقد قيل إن الشاعر هو من يشعر بما لا يشعر به غيره[1] وهنا يدق الشعراء قبل غيرهم ناقوس الخطر محذرين من المخاطر المحتملة ملتمسين الحلول المنطقية لكل قضية كل حسب منظوره ورؤيته .

ولعل من أهم القضايا التي شغلت المجتمع السعودي ولا تزال تشغله قضية حوادث المرور لما تسببه من هلاك الأرواح وفناء الأموال وخراب الممتلكات حتى إنه لا يمر يوم إلا وتودع المملكة عدداً من فلذات أكبادها نتيجة لسوء استخدام هذه الآلة التي هي في الواقع نعمة لو استخدمت الاستخدام الأمثل .

وهذه المشكلة صاحبت التطور والتحديث الذي عم ربوع المملكة العربية السعودية في عهدها الحاضر الذي عم فيه الرخاء سائر البلاد وأثرى الناس وامتلك السيارات كل فئات المجتمع الغني والمتوسط ومحدود الدخل وكل نعمة لا بد لها من منغصات .

لقد بذلت الدولة كل جهد ممكن لتلافي هذه المشكلة أو التقليل من مخاطرها فعبدت الطرق ووسعتها قدر المستطاع وأقامت أسابيع المرور لتثقيف الناس وتوعيتهم بالأساليب المثلى لقيادة السيارات ، وأقامت مدارس تعلم قيادات السيارات في مختلف المناطق واشترطت في السائق أن يكون في سن تؤهله لذلك، وطبعت الكتيبات والمنشورات واللوحات الحائطية على الطرق ، وتابعت الصيانة

---

(١) انظر : نقد النثر ـ ص ٧٧ .

الدورية للطرق والجسور والأنفاق ، واشترطت الفحص الدوري للسيارات لضمان صلاحيتها للاستعمال ، وأن يحمل السائق رخصة تدل على خبرته بالقيادة .

وكانت إدارة المرور تقيم الندوات والأمسيات الشعرية لتوعية الناس بمخاطر الحوادث وذلك في أسابيع المرور التي تقام سنويًا .

وكانت أسابيع المرور مناسبة لتنافس الشعراء في إلقاء شعرهم الذي يتعلق بهذه القضية .

وممن تناول هذه القضية الشاعر السعودي أحمد سالم باعطب في قصيدته التي سماها « هدية النجاح » .

القصيدة :

جاءت تميس بثوبها المتأنق ... فحكت جمال صباحها المتألق
جلست تبادلني الحديث عن الهوى ... بعبارة نشوى وصوت شيق
وتعيد ألحانا شدوت بها لها ... عن صدق إحساسي وفرط تعلقي
وتمايلت كالطفل تمسح جبهتي ... رفقًا وبالقبلات تروي مفرقي
فسرت بي الذكرى لأيام خلت ... في حضن روض للمحبة مورق
تغفو على جنباته أرواحنا ... لم نعرف الشكوى به لم نأرق
وتشجعت إذ أبصرتني سابحاً ... في لجة الذكرى أهيم بزورقي
قالت أتيت ولا إخالك مكسفي ... ولديّ منك يمين عهد موثق
لي مطلب يزجي إليّ سعادتي ... هل أنت منجزه بوعد مسبق
فصحوت من عبث الخيال وراعني ... شبح المكيدة في الظلام المطبق

وجلست أفرك جبهتي مستلهماً أمل الخلاص من البلاء المحدق
فأجبتها كي لا أثير شعورها بيلاهة قصوى حنانك أنطقي
إني فديتك كل ما ملكت يدي فاستعملي الحسنى به وترفقي
قالت لقد بلغ « المهند » شأوه واجتاز مضمار الوغي بتفوق
حاز الشهادة بالكفاءة مدركاً أملاً بغير الكدح لم يتحقق
فامنن عليه وزد زناد طموحه وقداً بمكرمة تسر وأغدق
قلت امنحيه من الدراهم سؤله يجمع بها ثمر العقول وينتقي
قالت أيقضي العمر يعصر فكره ما بين مخضر الغلاف وأزرق
قلت الفتى بالكدح يشرق فجره ما فاح ريح العود إن لم يحرق
قالت وقد لعب الهوى بشعورها هذا كلام منك غير موفق
أحضر له سيارة يفرح بها واخلع لباس المقترين وأنفق
كيما تراه وقد تبوأ ضاحكاً فرحاً أريكتها بوجه مشرق
يلهو بمقودها ويشحذ عزمها فتطير ساخرةً بمن لم يلحق
فأجبتها والغيظ يصرخ في دمي كُفِّي عن الهذيان ويحك أرفقي
صوني لسانك أن ترى عثراتها إن البلاء موكل بالمنطق
لا تلهبي منه الشعور مطالباً فيزل من عبث الشباب بمزلق
ماذا يفيدك حين يحمل جثة والجسم بين محطم وممزق
ماذا يفيدك إن بدت أطرافه ما بين مشدود وبين معلق
هل تعصرين القلب منك ندامة أم تغرقين بدمعك المتدفق

فنظل في عين العداة حكاية يُزْرَى بها وقذىً بعين المشفق
قالت قضاء الله لست براده قلت الحوادث علمتني أتقي
إني خبرت السائقين فلم أجد إلا أخا بطرٍ يكيد لأحمق
يا زوجتي لا تقذفي بوحيدنا في لجة البحر المهيب المغرق
إني أرى ما لا ترين من الأسى شتان بين مغرب ومشرق
إن النساء وإن عظمن ثقافة يسبحن في فلك الخيال الضيق
يهوين من متع الحياة قشورها ويردن نبع الفكر دون تعمق[1]

الشاعر :

الأستاذ أحمد سالم باعطب ولد بحضر موت عام ١٣٥٥م حصل على البكالوريوس في التجارة وعلوم سياسية جامعة الملك سعود بالرياض عام ١٣٨٦ هـ عمل في وظائف مدنية ، له مساهمات في وسائل الإعلام المختلفة ، وله قصائد مغناة في الإذاعة السعودية ، عضو في نادي الرِياض الأدبي وفي نادي جدة الثقافي[2] .

نتاجه الشعري :

للأستاذ أحمد سالم باعطب نتاج شعري وفير تمثل حتى الآن في أربعة دواوين من الشعر هي :

---

(١) الروض الملتهب ٨١ ـ٨٥ .

(٢) أحمد سعيد بن سلم ـ موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين خلال ستين عاماً ١٣٥٠ ـ ١٤١٠ هـ ، القسم الثاني ، ص ٣٢٧ . وانظر : أسراب الطيور المهاجرة ، ص ٨ .

١ ـ الروض الملتهب : وهو الديوان الأول له صدر عن نادي الرياض الأدبي عام ١٤٠٠هـ ويضم الديوان ثلاثاً وأربعين قصيدة وليس ستًا وأربعين قصيدة كما ذكر صاحب كتاب موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين (١) وقدم للديوان الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري .

٢ ـ ديوان ـ « قلب على الرصيف » صدر عن دار الرفاعي بالرياض عام ١٤٠٣ قال عنه صاحب موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين « ولعل هذه المجموعة من أروع شعره الوجداني »(٢) .

٣ ـ ديوان ـ عيون تعشق السهر صدر عام ١٤٠٩ هـ وقد ضم ثلاثاً وأربعين قصيدة .

٤ ـ ديوانه الرابع ـ بعنوان « أسراب الطيور المهاجرة » ويضم سبعاً وأربعين قصيدة .

٥ ـ وله ديوان خامس بعنوان : رباعيات مخضبة ذكره في مقدمة ديوانه أسراب الطيور المهاجرة دون معلومات أخرى عن مكان طبعه ولا زمانه ولا عدد قصائده (٣) .

تحليل القصيدة :

جاءت تميس بثوبها المتأنق ... فحكت جمال صباحها المتألق

(١) المرجع السابق ، ٢ / ٣٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ٢ / ٣٢٧ .

(٣) انظر : الطيور المهاجرة ، ص ٨ .

بدأ الشاعر قصيدته بالفعل الماضي (جاءت) موصولاً بضمير المؤنث المفرد الذي يقصد به زوجه وهو مدخل جيد لقصيدة يغلب عليها الحوار بين طرفين أحدهما الشاعر والثاني تلك التي جاءت لمجلسه على الصورة التي فصّلها . ثم قال: « تميس » وهذا الوصف له دلالات إغرائية مهمة . حاول الشاعر استثمار دلالتها في بداية القصيدة لتكون جسراً لما بعدها من أوصاف ثم زاد الوصف وضوحاً فقال « بثوبها المتأنق » ليجمع بين جمال الحركة وجمال اللباس . ثم لم يخف الشاعر أن ذلك المشهد حرّك روحه الشاعرة فانطلق يصفه من فرط تأثره به رابطاً له بظرفه الزمني الذي أورده الشاعر لداع مهم وهو عقد المشابهة بينه وبين إشراق هذه القادمة التي تميس بجمالها وجمال ثوبها ولعل مظهرها المثير هو الذي استدعى ذكر الصباح هنا ، ومن ثم شبهها بالصباح المتألق .

وأخذ المشهد يتنامى في جمالياته عندما قال :

جلست تبادلني الحديث عن الهوى ... بعبارة نشوى وصوت شيق
وتعيد ألحاناً شدوت بها لها ... عن صدق إحساسي وفرط تعلقي
وتمايلت كالطفل تمسح جبهتي ... رفقاً وبالقبلات تروي مفرقي

إذن خرج الأمر من المظهر الصامت إلى العمق حيث الهوى والحب والمشاعر والبوح الجميل في حديث شيق وعبارات منتقاه مما أثار عواطف الشاعر فقد انتزعت طريقتها في الحديث عن الهوى منه هذا التوصيف الذي خالط مشاعره فأساليب الإغراء تتواصل في شكل تصاعدي فهي تعيد إليه أحاديث الحب القديمة وألحان الشعر التي عبر عنها الشاعر في الماضي وما فيها من وصف إحساسه تجاهها وحبه لها وتعلقه بها ، ويتطور المشهد في البيت الرابع عندما تستعمل الزوجة

الحركات الجسدية من التمايل ومسح الجبهة وتقبيل الرأس ، وقد أجاد الشاعر تصوير إجادتها لأدوارها التي تنامت تصاعداً حتى وصلت إلى مسح الجبهة وتقبيل الرأس ، لأن مطالبها ستكون بحجم هذه التنازلات والإغراءات التي قدمتها .

لقد ترك هذا الأسلوب منها أثره الكبير في نفس الشاعر وتفكيره فانثنى يصف وقع هذه المشاهد على نفسه فقال :

فسرت بي الذكرى لأيام خلت   في حضن روض للمحبة مورق

تغفو على جنباته أرواحنا   لم نعرف الشكوى به لم نأرق

عادت بهذه الإغراءات والتذكير بالماضي الجميل إلى الاستغراق في التفكير واستعادة روعة الماضي والخروج من عالمه المحسوس المشاهد إلى عالم آخر جميل يسبح فيه خياله ، وكأنها كانت تتصيد عامدة مثل هذه الحال منه لتزج بمطلبها الكبير فيلقى قبولاً واستجابة في غيبة وعي الشاعر في ذكرياته الجميلة . وقد بيّن في البيت التالي أنها أحست بأنها قد نجحت في التأثير عليه فقال :

وتشجعت إذ أبصرتني سابحاً   في لجة الذكرى أهيم بزورقي

بعد هذا قدمت مطلبها ووضعت بين يدي مطلبها عبارات تدفعه للقبول من مثل قولها « ولا إخالك مكسفي » وقولها « ولدي منك يمين عهد موثق » وقولها : « هل أنت منجزه بوعد مسبق » في البيتين التاليين :

قالت أتيت ولا إخالك مكسفي   ولديَّ منك يمين عهد موثق

لي مطلب يزجي إليَّ سعادتي   هل أنت منجزه بوعد مسبق

فهي تحاول الحصول على وعد التنفيذ قبل الطلب لأنها تعلم أن الشاعر واقع تحت تأثير إغراءاتها وقد لا يستجيب لمطلبها إذا زال ذلك المؤثر ولكن هذه البدايات

للطلب تخرج الشاعر من سبحه في عالم الخيال ليعود للواقع بقوة ويصحو على المكيدة التي استعملت لها كل أنواع الحيل ويحتشد للخروج من الموقف بسلام وهنا يظهر على كلماته نبرة القوة والحزم والوعي الكامل .

فصحوت من عبث الخيال وراعني　　　شبح المكيدة في الظلام المطبق

ثم يبين ما انتابه من الحرج واختلال التوازن وبعض الحركات التي تدل على ذلك كفرك الجبهة والتظاهر بالبلاهة للخروج من الموقف .

وجلست أفرك جبهتي مستلهماً　　　أمل الخلاص من البلاء المحدق

فأجبتها كي لا أثير شعورها　　　ببلاهة قصوى جنانك أنطقي

إني فديتك كل ما ملكت يدي　　　فاستعملي الحسنى به وترفقي

حاول في البيت الأخير أن يجعل الكرة في ملعبها كما يقولون وجعلها صاحبة التصرف طالباً منها النظر بعين العقل وعدم الشطط في مطالبها واستعمال الرفق والحسنى لعلها تقدر هذه الشقة ؛ ولكنها ظلت مصرة على مطلبها الذي أخذت تقربه إلى ذهنه رويدًا رويدًا ظانة أن حيلتها قد نجحت فأخذت تذكر أن ولدها قد كبر وتفوّق في دراسته وحقق الشهادة المتوسطة وهذا ما يجعله يستحق أن ينال الجائزة .

قالت لقد بلغ المهند شأوه　　　واجتاز مضمار الوغى بتفوق

حاز الشهادة بالكفاءة مدركا　　　أملاً بغير الكدح لم يتحقق

فامنن عليه وزد زناد طموحه　　　وقداً بمكرمة تسر وأغدق

ففي البيت الأخير طلبت له جائزة تقوي من عزمه وطموحه حتى يزداد نشاطاً وألحت على الإغداق في ذلك ، لأن في كلمة « أغدق » دلالة مهمة أرادت

أن تجعلها مقدمة لمطلبها الكبير وهو شراء السيارة الذي تحاول أن تقربه بكل ما تستطيع من سبل . ولكن الشاعر يظل في تجاهله وتغابيه وكأنه يرد على الحيلة بمثلها بمهارة لا تقل عن مهارتها في استدراجه إلى شراء السيارة . ويجعل الأمر لها في أن تعطيه من الدراهم ما يمكنه من مواصلة مشواره العلمي والتثقيفي وتفوقه الذي تحدثت عنه في أبيات سابقة .

قلت امنحيه من الدراهم سؤله   يجمع بها ثمر العقول وينتقي

يقول هذا وهو يعلم أن مطلبها ليس شيئاً من الدراهم وإنما الأمر أكبر من ذلك ولكنه يتجاهل أنه يعلم ذلك ويأتي علمه لمطلبها من قوله في بيت سابق .

فصحوت من عبث الخيال وراعني   شبح المكيدة في الظلام المطبق

ولكنها قاطعته بعد بيت واحد فقط مستنكرة هذا الرأي منه لأنه في اقتراحه هذا يقطع عليها الطريق دون مطلبها الذي قدمت له وأسهبت في التقديم وتصيدت كل الفرص المناسبة .

قالت أيقضي العمر يعصر فكره   ما بين مخضر الغلاف وأزرق

ولكنه يدعم رأيه ببيان أن حياة الكتب حياة كدح يجني مردودها صاحبها ويستثمر الحكمة العربية في موقعها الصحيح وهي قول الشاعر أبي تمام :

لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف طيب عرف العود[1]

فيقول باعطب :

قلت الفتى بالكدح يشرق فجره   ما فاح ريح العود إن لم يحرق

(١) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي ـ تحقيق محمد عبده عزام ـ دار المعارف ، طبعة ٥ ، ١ / ٢٩٧ .

وهنا يخيب آمالها العراض ويسعى لإبراز شخصيته الرجولية التي تحبذ العقل والبصيرة بالنظرة البعيدة للأمور وعواقبها دون تهور أو خضوع لرأي أنثوي متسرع لا يفكر في الأمور بعمق ، وهذا الموقف أثار غضبها وحولها من النقيض إلى نقيضه وتحولت لهجتها من اللين إلى الشدة ، وتبدلت كلماتها إلى أخرى حادة جارحة وباحت بمطلبها الكبير الذي ظلت تقدم له بمقدمات كثيرة وتتصيد له الفرص المناسبة .

قالت وقد لعب الهوى بشعورها　　　هذا كلام منك غير موفق

أحضر له سيارة يفرح بها　　　واخلع لباس المقترين وأنفق

كيما تراه وقد تبوأ ضاحكاً　　　فرحاً أريكتها بوجه مشرق

يلهو بمقودها ويشحذ عزمها　　　فتطير ساخرة بمن لم يلحق

إنها تثور غاضبة مستثارة فتصف كلامه بأنه غير موفق وتصفه بالبخل والتقتير على أبنائه ، وهي عادة النساء عندما لا تقبل مطالبهن ، وتبوح بخيالاتها التي رسمتها عندما يتحقق الطلب وهي مقاصد سخيفة تدل على قصر نظر ومظهرية زائفة عندما تريد من السيارة أن تكون أداة للسباق والسخرية بالآخرين .

وهذا الموقف منها دعاه للرد عليه بما يناسبه وكأنه يريد جرها إلى الشدة حتى يجد مبرراً للرد عليها بمثل طريقتها ، ورفض مطالبها وقد نجح في استدارجها إلى ذلك .

فأجبتها والغيظ يصرخ في دمي　　　كفي عن الهذيان ويحك أرفقي

صوني لسانك أن ترى عثراتها　　　إن البلاء موكل بالمنطق

وبعد هذا بدأ يستميل فيها مشاعر الأمومة عندها ويذكرها بعواقب منح السيارات للأبناء الأحداث وما تجره من حوادث وكيف سيكون حالها عندما

يحمل إليها ولـدها جثة هامدة ممزق الأشلاء وهو يسهب في هذه النصيحة وكأنه يوجـهـها لكل أم هـذا دأبها مـذكـراً بويلات حـوادث المرور عندمـا يقود الـسيـارة الأحداث من الشباب رافضًـا الفكرة التي شاعت بين الناس والتي مؤداها أن جائزة النجاح لا بد أن تكون سيارة معتبراً أن هذه فكرة خـاطئة ينبغي تغـييرها موضـحًا ذلك في خمسة أبيات يظهر عليها صدق العبارة وتدفق المشاعر :

لا تهـلبي منـه الشـعــور مطـالبــاً ... فـيـزل من عـبث الشـبــاب بمزلق
مــاذا يفـيـدك حين يحـمـل جـثـة ... والجـــسم بين مـــحطم وممـزق
مــاذا يـفــيــدك إن بدرت أطـرافـه ... مــا بين مــــشـدود وبين مــعلق
هل تعـصــرين القـلـب منك ندامـة ... أم تغـــرقـين بدمــعك المتـــدفق
فـنظـل في عـين العـــداة حـكايـة ... يُزري بهــا وقــذى بـعين المشــفق

وهنا تقاطعه في حرص شديد على تثبيت رؤيتها للأمور وأنها ليست مخطئة في مطلبـها وأن القـضـاء والقدر لا يرده حـرص الحريـص في نصف بيت ولكنه لا يترك لها مجال الاسترسال فيأخـذ منها مجال الكلام ليكمل موعظته البليغة المؤثرة مـذكراً بأن المهند وحـيدهمـا ولا تفريط فـيه وأن أغلـب السائقين يتـصفـون بالبطر والحمق مستعملاً أسلوب التلطف عندمـا يخاطبها بقوله : يا زوجتي .. ثم يذكرها بأن وجهة نظرها غير سليمة وتختلف مع وجهة نظره .

قـــالت قـــضـــاء الـلـه لسـت برادّه ... قلـت الحـــوادث علمـــتـني أتـقي
إني خـــبـرت الســائقـين فلم أجـد ... إلا أخــا بطرٍ يكـيـــد لأحـــمق
يا زوجــتـي لا تقــذفي بوحــيــدنا ... في لجـة البـحــر المهـيب المغـرق
إنـي أرى مــــا لا تريـن من الأسـى ... شـتـــان بين مـغـرب ومــشـرق

ثم يختتم الشاعر قصيدته ببيتين يبين فيهما أن مشورة النساء في بعض المواضيع كهذا الموضوع وهو شراء السيارة للمراهقين من الأبناء لا يصح قبولها لأن النساء غالباً ما ينظرن إلى المظاهر وقشور الأشياء دون التعمق في بواطن الأمور وكأنه بهذا يلقي بالتبعة في كثير من حوادث السيارات على مشورة النساء عندما يطلبن لأولادهن الصغار سيارات بغية المظهر والتباهي بين الناس ويدعو الأزواج لعدم طاعتهن في ذلك فيقول :

إن النساء وإن عظمن ثقافة　　يسبحن في فلك الخيال الضيق

يَهْوَيْن من متع الحياة قشورها　　ويردن نبع الفكر دون تعمق

هذه القصيدة تعد من الشعر القصصي وقد استخدم الشاعر لغة الحوار الأساسية في الفن القصصي وهو يجيد في هذا المضمار وكثير من قصائده تعتمد على هذه الطريقة وقد لاحظ بعض النقاد غلبة الحوار على شعره فقال د . شكري فيصل : « وهناك عند الشاعر باعطب ثلاث أدوات فنية تيسر له سبيل هذا العمل أو ذاك هي قدرته على إنشاء الحوار أولاً ثم موهبته في تنويع الشكل الموسيقي وأخيراً تمكنه من استخدام اللغة العربية وتصريفها بين الجزالة والسلاسة وشحنها بكل ملامح الوضوح »[1] .

ويقول الدكتور يوسف عز الدين مخاطباً الشاعر : « وأخيراً أتمنى أن أراك وقد نظمت مسرحية شعرية فإن قابليتك للحوار والتسلسل المسرحي جديرة بالإنماء والنماء »[2] .

---

(١) ديوان أسراب الطيور المهاجرة ، ص ٢١ .

(٢) ديوان الروض الملتهب ، ص ٢٦١ .

ويقـول الأستـاذ راضي صدوق : « والشـاعر ينـجح في نقداته الاجتمـاعيـة المغلفة بمسحة من السخرية والدعابة المحببة فـي قصائـده « سجين ليلـة زفافــه » و « الموظف والراتب » و « هدية النجاح » و « عاشق الدراهم » وأكثر هذه القصائد يسوقها في قالب قصصي حواري يتسم بالحركة والحرارة والواقعية »[1] .

ويقول الأستاذ / حسن الهويمل : « والشاعر باعطب أكثر الحديث عن قضايا المرأة واعـتمـد في عرضـه على الحكاية والوصف واستخـلاص النتائج واستخـدام عنصر الحوار »[2] .

وتجد مثل هـذا الحـوار في كثير من قصائـده مثل « سمـاء بـلا نجـوم »[3] و « جرعة ندم » [4] و « سجين ليلة زفافه »[5] و « هدية النجاح »[6] وغيرها .

والحقيـقة أن الحوار يهيء الكاتب للمسـرح لأن الحوار هو الدعامة الأسـاسية للمسرحية ، لكن الشاعر لا يعتـمد على الحوار وحده إنما يغوص إلى داخل نفسه ، ليـعود إلى الحـوار ، لأن هذه التـجربـة تعكس جوانب أخـرى غـير قـصـة السيـارة كطبيعة العلاقة بين الشاعر وزوجته وما يفتقده من حنانها مثل قوله :

فـسـرت بـي الذكـرى لأيـام خلت   في حـضن روضٍ لـلـمـحـبـة مـورق
تغــــفــــو على جـنبــــاته أرواحـنا   لم نـعــــرف الشكـوى به لـم نأرق

(١) ديوان الروض الملتهب ، ص ٢٧٨ .
(٢) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر ، ص ٣٢٩ .
(٣) انظر الروض الملتهب ، ص ١٥٦ .
(٤) الروض الملتهب ، ص ١٦٤ .
(٥) انظر الروض الملتهب ، ص ١٧٦ .
(٦) الروض الملتهب ، ص ١٨١ .

والحوار قديم في الشعر العربي وبخاصة عند عمر بن أبي ربيعة ، الذي كانت القصة الشعرية عنده تمثل قصّة قصيرة محبوكة الأطراف كقصيدته المشهورة التي يعرفها الكثيرون بـ « آل نُعْم » لقوله في مطلعها :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ‏ ‏ ‏ ‏ غداة غد أم رائح فمهجر(١)

فخلف الشاعر باعطب تراث غني من القص الذي يلعب الحوار فيه دوراً مهمًا ، وبخاصة إذا كان هذا الحوار يكشف عن المشاعر والأحاسيس .

ولم يتوقف « باعطب » عند القص والسرد ، إنما كان يتعمق في ذاته من حين لآخر مستعملاً ما يعرف بالمفارقة بين موقفه الحالي من زوجته بشأن السيارة ، وموقفها منها وهو يصور هذا الموقف المتناقض بكثير من الأبيات نختار منها قوله :

ماذا يفيدك حين يحمل جثة ‏ ‏ ‏ ‏ والجسم بين محطم وممزق

ماذا يفيدك إن بدرت أطرافه ‏ ‏ ‏ ‏ ما بين مشدود وبين معلق

هل تعصرين القلب منك ندامة ‏ ‏ ‏ ‏ أم تغرقين بدمعك المتدفق

وهو على الرغم من اقترابه من لغة الحياة لا يتخلى عن التصوير في هذه الأبيات ، أما موقفه فهو الرفض باعتباره الرجل صاحب القوِامة .

ولا يتخلى عن التصوير كذلك عندما يقول على سبيل المثال :

يا زوجتي لا تقذفي بوحيدنا ‏ ‏ ‏ ‏ في لجة البحر المهيب المغرق

وقد استخدم الشاعر هنا المرأة طرفًا في الحوار ليدل على أنها من أسباب حوادث المرور عندما تغري زوجها بشراء سيارة لابنها المراهق حبًا في المظاهر والتباهي بين الناس .

---

(١) ديوانه ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤م ، ص ١٢٠ .

وبعض أبيات القصيدة تكاد تخلو من التصوير الشعري والخيال وتكون أقرب إلى النثرية والمباشرة مثل قوله :

قالت أتيت ولا إخالك مكسفي ... ولديّ منك يمين عهد موثق
لي مطلب يزجي إليّ سعادتي ... هل أنت منجزه بوعد مسبق

ومثل قوله :

قالت قضاء الله لست براده ... قلت الحوادث علمتني أتقي
إني خبرت السائقين فلم أجد ... إلا أخا بطرٍ يكيد لأحمق

عمد الشاعر إلى حكمة أبي تمام المصوغة في بيتين هما :

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود[1]

في نصف بيت هو قوله : ما فاح ريح العود إن لم يحرق

وهذا تصرف جيد واختصار رائع ومثل هذا الأخذ يشيد به النقاد فقد أشادوا بأخذ سلم الخاسر من بشار عندما قال بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللهج[2]

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ١ / ٣٩٧ ، ديوان بشار ٢ / ٧٥ .

(٢) انظر الأغاني ٣ / ٢٠٠ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، ص ١٠٠ .

وقال سلم الخاسر :

من راقب النـاس مـات غمـا   وفـاز باللـذة الجسـور

يعلق صاحب معاهد التنصيص على البيتن قائلاً : « والشاهد فيهما حسن أخذ الثاني عن الأول ، ويسمى حسن الاتباع فإن بيت سلم أجود سبكاً وأخصر لفظاً »(١) .

قال أبو عبد الرحمن بن عقيل : « في عرف النقاد القدماء أن حسن الاختصار من محاسن السرقة وهكذا أحسن ابن عطب في الأخذ عن أبي تمام »(٢) .

كلمة « وحيدنا » استعملت في مكانها الصحيح لزيادة الشفقة واستدرار العطف .

وكذلك توظيف العبارة « شتان بين مشرق ومغرب » استعملت أيضًا في مكانها السليم وقد تصرف فيها بما يتناسب مع قافية القصيدة » .

ـ « قالت قضاء الله لست برادّه » هذا الشطر يبدو على وزنه الثقل للمد مع ساكن بعده في الكلمة الأخيرة ولو قال « قالت قضاء الله لست ترده » لكان أحسن لوزن البيت .

ـ استعمل الشاعر اللغة الشعرية والخيال في كثير من أبيات القصيدة مثل قوله :

فأجبتها والغيظ يصرخ في دمي

بعبـارة نشـوى وصوت شيـق

وبالقبـلات تـروي مفرقـي

---

(١) معاهد التنصيص ٤ / /٢٦ ـ ٢٧ .

(٢) الروض الملتهب ، ص ١٤ .

تغفو على جنباته أرواحنـــــا

وتشجعــت إذ أبصرتنــــــي   في لجـة الذكـرى أهيـم بزورقـــي

فامنن عليه وزد زناد طموحــه

يجمع بها ثمر العقول وينتقـي

في قولــه :

وتشجعت إذا أبصرتني سابحــاً   في لجة الذكرى أهيم بزورقـــي

صورة جـميلة فـقد صـور رجوعـه بذكرياته إلى الماضي الجـميل بصـورة من يسبح في لجـة الأمواج تتقاذفـه الذكريات من غيـر إرادة منه كما تتقـاذف الأمواج العـاتيـة الزورق ، مع أن الأفـضــل ترك هذه المعلومـة والسكـوت عنهـا لاسـتنتـاج السامع .

وقع الشاعر في ضرورة شعرية في قوله :

فأجبتها كي لا أثير شعورهـــا   بلاهة قصوى حنانك أنطقي

فـالهمـزة في أنطقي حقـها أن تكون همـزة وصل ولكنه جـعلها همـزة قطع للضرورة وهو جائز في الشعر غير أنه يبقى في حكم الضرورة .

ـ وفي قوله : « إني فديتك كل ما ملكت يدي »

كان الأولى أن يقول منحتك بدل فديتك لأن ما بعد « فدى » لا بد أن يرتبط بالباء فتقول فديتك بكذا بينما منحتك تدخل على المفعول مباشرة .

ـ استطاع باعطب أن يدخل المثل العـربي الشهـير « إن البـلاء مـوكل بالمنطق » في مـوضعـه الصحـيح كامـلاً دون تصـرف فيـه ليشكـل شطر بيت وهذا يدل على

البراعـة في استجلاب النصـوص الشهيرة وهذا المثل قـيل إن أول من قاله أبو بكر الصديق رضي الله عنه[1] .

وجلست أفرك جبهتي مستلهماً .

تصوير بارع في قول الشاعر : « أفرك جـبهتي » وهو كناية عن الحرج ووقوع الشاعر في ورطة يبحث في المخرج منها .

المهند : رمز شعري ولم يكن للشاعر من أبنائه من يسمى المهند .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) انظر الميداني ـ مجمع الأمثال ، ١ / ٢٦ .